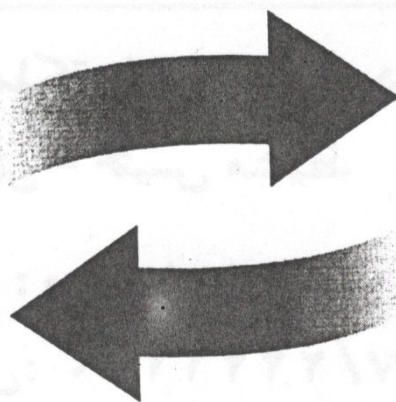
قال رسول الله ﷺ: «الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة» متفق عليه

سلسلة إعداد الرجال

٣

Kundershto epshin

خالف هواك



تأليف

أبي المنذر خليل بن إبراهيم أمين

المعروف للنشر والتوزيع

الطبعة الأولي

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م



الرياض المملكة العربية السعودية

الرياض- خميس مشيط

جوال : ٠٥٧٧٥١١٠٠

تليفاكس: ٠٧/٢٢٢١١٠٠

ص.ب ٣٨٠٩٨٠ - الرياض ١١٣٤٥

E.M:ALMOKTATAF@HOTMAIL.COM

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

استهلال

الحمدُ للهِ وحدهُ، والصلاة والسلام على مَن لا نبيَّ بعده، وبعد:

فأكْتُبُ هذه الكلمات ويملؤُني التفاؤل، ويحدُوني الأمل، وكُلِّي ثقةٌ بأَنَّ الفرجَ قريبٌ...

فما طالَ ليلٌ حالكٌ إلاَّ وأعقبه ضوء الفجر

وما اشتدَّ ضيقٌ إلاَّ ومعهُ السعة

وما تعاقبَ بلاءٌ إلاَّ وقرينه العافية

وما عَظُمت شِدَّةٌ إلا وبيدها اليسر

فثقوا، وأبشروا، وأمِّلوا، بأنَّ ﴿مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ ولن يغلب عسر يسرين.

فالله ـ تبارك وتعالى ـ بمنِّه وكرمه ولطفه، يُهيئُ في أحلك الساعات رجالاً عظاماً يُقَدِّرون المسؤولية،

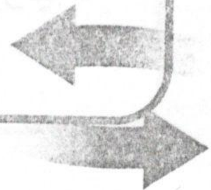
ويحملـونَ الأمـانـة، أولئـك هـم أصحـاب الأعمـال الناجحة، والحياة السعيدة، الذين تعِزُّ بهم أسرهم، وتسمو بهم أوطانهم.

وإذا كان هناك من الرجال مَن يعدل ألف رجل، فهناك ـ على النقيض ـ مَن هو في ميزان الرجال لا يعدل جناح بعوضة، والناس كما قال النبي ﷺ: «كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة» [متفق عليه].

كُلُّ ما أريده منك وأنت تقرأ كلمات هذه الرسالة، أنْ تنسى أنك تقرأ كتاباً بُغيتك أن تنتهي منه ثم تضعه بعد قليل، ولكن أريد منك أن تقف مع نفسك، وتنظر في ذاتك، وتفتش في أعماقك، أريد منك أن تقرأ لتعمل، وتعمل لتتحول، فهذه (الجرعات النفسية) التي بين يديك تأخذ بيدك لتضعك في مصافِّ عُظماءِ الرِّجال.

خليل بن إبراهيم





بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، وأفضل الصلاة وأزكىٰ السلام على مَن لا نبيَّ بعده... وبعد:

يُحكىٰ أن الكلب رام - يوماً - طريق العزة والسؤدد والكرامة، فقال في نفسه: أنَّ البداية تبدأ بتغيير اسمي هذا، فانطلق من فوره إلى الأسد، وقال له: يا ملك الغابة، إنني قررت إجراء تحوُلاً شاملاً في كل جوانب حياتي، وبغُيتي منك أن تُصدِرَ مرسوماً يقتضي تغيير اسمي هذا بين حيوانات الغابة ويتضمن عقوبة شديدة لمَن يخالف هذا المرسوم، فنظر إليه الأسد ملياً ثم قال له: حسناً، ولكننا لابد أن نضعك في اختبار تُبرهن لنا فيه على صدق دعواك، ثم أمر الأسد بإحضار فخذ من اللحم الطازج ودفعه إليه، وقال له: اجعل هذا اللحم بحوزتك إلى الغد فإن سلمته لنا غداً كاملاً قمنا بإصدار

ذلك المرسوم وإلاَّ فلا! فقبل الكلب ذلك على الفور وهي يُمَنِّي نفسه بحياة عزيزة كريمة، فلما وُضِعَ اللحم أمامه نازعه هواه وشاقَّه فلم يصبر حتى أكل منه قطعة، ثم جلس برهة يسيرة وأكل أخرى، فلما ذاق طعم اللحم قال في نفسه: وما يضيرني من اسمي هذا، فلم يقُمْ من مكانه إلا وقد أتى على الفخذ بأكمله. فبلغ ذلك الأسد فقال: كنتُ أعلم أنَّ الكلب لن يستطيع مخالفة هواه. وفي كتاب الله المنزل ضرب ـ سبحانه وتعالى ـ مثلاً لذلك الذي أبى أن يرفع بآياته ـ جل ثناؤه ـ رأساً فأخلد إلى الأرض واتبع هواه بالكلب وهو أخسُّ الحيوانات صورةً ومعنى فقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

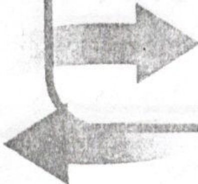
ولن يستطيع أن يجد لقدمهِ مَوْضعاً داخل ميدان السباق وفي مصافِّ عظماء الرجال من وقع أسيراً في قبضة هواه يُسيِّره حيث يشاء؛ لأنَّ عبيد الهوى والشهوة هم عبيد الناس في المجتمعات وإن هملجت بهم البغال وطقطقت بهم البراذين، وإن أحرار النفوس من الهوى والشهوة هم أحرار المجتمعات وإن كانوا أفقر الخلق.

فالعبد المحض: عبد الماء والطين. الذي استعبده هواه وقهره، فانقاد له انقياد العبد إلى سيده الحاكم له.

والحر المحض: هو الذي قهر شهوته ومَلَكَ هواه، فانقاد له وذلَّ له ودخل تحت حكمه وَرِقِّه.

ومن البلايا للبلاء علامة
ألا يُرى لك عن هواك نزول
العبد عبد النفس في شهواتها
والحر يشبع تارة ويجوع

واسأل مَن سار بقلبه وعقله وجسده في أعقاب هواه كيف حاله؟ يُجبك حاله ومآله بالنبأ اليقين:



* كم فَوَّت من فضيلة.
* وكم أوقع في رذيلة.
* وكم كَسَرَ جاهاً.
* ونكَّس رأساً.
* وقبَّح ذكراً.
* وأورث ذمًّا.
* وأعقب ذُلاً.
* وألزم عاراً لا يغسله الماء غير أن عين صاحب الهوى عمياء.

ولك في الكريم ابن الكريم أسوة:

يقول ابن الجوزي ـ رحمه الله ـ: قرأت سورة يوسف عليه السلام فتعجبت من مدحه عليه السلام على صبره، وشَرح قصته للناس، ورفع قدره بترك ما ترك، فتأملت خبيئة الأمر، فإذا هي مخالفة الهوى! واعجباً لو وافق هواه من كان يكون؟ ولما خالفه صار أمراً عظيماً تُضرب الأمثال بصبره، ويفتخر على الخلق باجتهاده. كُلُّ ذلك قد كان

بصبر ساعة فيا له عزًّا وفخراً، أن تملك نفسك ساعة الصبر عن المحبوب وهو قريب» [صيد الخاطر].

فقد مُدِحَ وأعلىٰ الله ذِكْره وشأنه وقصَّ سيره على الناس في قرآن يُتلىٰ إلى يوم القيامة، بل وفي الكتب السابقة مثالاً للعفَّة يُحتذىٰ، وطريقاً للشرف والسؤدد يُقتفىٰ، وحُقَّ له عليه السلام ذلك، فقد كان شاباً في ريعان الشباب، والشباب داعٍ إلى الغريزة والشهوة وداعي الرغبة عنده أقوى، وقد كان غريباً عن موطنه وأهله، وهذا داعٍ لزوال الحياء والحشمة، فإنما يستحي الشاب عند قضاء وطره من أهله ومعارفه وخلاَّنه، وقد كان لها بمنزلة العبد ـ فقد بِيع عليه السلام بيع العبيد ـ وهي السيد، وفي هذا داعٍ لأن يلبي رغبتها ومُرادها، فينال بذلك الحظوة، ويبلغ المكانة من قلبها، وقد كانت هي الطالبة وهو المطلوب، وهذا له وقع أشد في النفوس عند طلب الرغبة والشهوة والإحساس بكمال الرجولة والفحولة، وقد كانت ذات منصب، فهي زوجة عزيز

مصر، وهذا أقوى وأدعى لتلبية المطلوب، وهو في دارها وتحت حكمها، وقد استوثقت واحتاطت بجميع الأمور حتى الأبواب استوثقت من إغلاقها، ثُمَّ أن هذه السيدة زوجة العزيز الجميلة الآمرة الناهية قد امتلأ قلبها بحب مملوكها واشتد بها العشق له، فهي أعدت للأمر عدَّته، وجهَّزت نفسها تمام التجهيز، وبعد أن هيَّأت ورتَّبت، أقبلت عليه تبوح بما تنطوي عليه نفسها من لهيب الشهوة المستعر، تقول: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ فإذا بالكريم ابن الكريم ابن الكريم يقول: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾.

ولا ريب لكل ذي لُبٍّ أنَّ هذا الأمر من أعظم أنواع البلاء، بل هو من جنس بلاء الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي ابتُلي بذبح ولده وثمرة فؤاده، إذ البلاء هنا في مخالفة الطبع ودواعي النفس والشهوة ومفارقة الحكم والطبع إلى الضد، فصاروا إلى ما قد علمنا من رفع ذِكرهم إلى يوم القيامة.

وفي قمع أهواء النفوس اعتزازها

وفي نيلها ما تشتهي ذُلٌّ سرمدي

فلا يتسنم ذُرا المجد وينال الثناء الحسن والذِكر الجميل، ولا يُستشار ويأمر فيُطاع، ويقول فيُسْمع له؛ إلا مِن مَن قهر هواه وروَّضه وسيَّره في طاعة ربه ومولاه، لكنها النفوس الدنية والهِمم الوضيعة. هووا فهانوا.

سُئل ابن المقفع عن الهوى فقال: هوان سُرقت نونه، فأخذه شاعر فنظمه فقال:

نون الهوان من الهوى مسروقة

فإذا هويت فقد لقيت هواناً

وقال آخر:

إن الهوى لهو الهوان بعينه

فإذا هويت فقد كسبت هوانا

وإذا هويت فقد تَعَبَّدك الهوى

تخضع لحبك كائناً مَن كان

ومَن تأمَّل بعين البصيرة إلى حال العاصي وجد أنه لا يقصد المعصية بذاتها ـ كونها معصية ـ ولكنه يوافق هواه فيقع في المعصية تبعاً، ولو استخدم عقله الذي خُصَّ به عن جميع المخلوقات لميَّز به أن ساعة قضاء الوطر لا تساوي لحظة من انقضاء العمر في حسرات وندامات على قضاء ذلك الوطر ولو أُعطي الدنيا بأجمعها.

ذمُّ الهوى في الكتاب والسنة:

وقد أُطلق ذمَّ الهوى في الكتاب والسنة، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «لمَّا كان الغالب من مُطيع هواه وشهوته وغضبه أن لا يقف فيه على حدِّ المنتفع به أُطلق ذم الهوى والشهوة والغضب لعموم غلبة الضرر».

ولو تتبعت ذلك في الكتاب والسُّنَّة لوجدت أن الله ـ تبارك وتعالى ـ لم يذكر الهوى في كتابه الكريم إلا وذمه وحذَّر منه، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

فنهىٰ - تبارك وتعالى - عن طاعة مَن صار تبعاً لهواه، فما اشتهت نفسه سعى في إدراكه ولو كان فيه هلاكه، وترك مصالح دينه ودنياه مُعَطَّلةً، فمثل هذا لا يُطاع ولا يُقتدىٰ به؛ لأنه لا يدعوإلا لما هو متصف به، فالذي ينبغي أن يُطاع ويُؤتمّ به مَن امتلأ قلبه بمحبة مولاه وخالقه، وفاض ذلك على لسانه فلهج بذكر الله، واتبع مرضاة ربه فقدمها على مرضاة نفسه وهواه، فصلحت أحواله، واستقامت أفعاله، ودعا الناس إلى ما منَّ الله به عليه.

وقال - تعالى -: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ١١٩﴾ [الأنعام: ١١٩].

وهنا يحذِّر - تبارك وتعالى - من كثير من الناس، فقال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم﴾ أي: بمجرد ما تهوى أنفسهم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍۗ﴾ ولا دليل ولا حجة، فقط بمجرد الهوى الفاسد والآراء القاصرة والشبهة المتهافتة، فهؤلاء معتدون على شرع الله، وعلى عباد الله، والله لا

يحب المعتدين.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

والمعنى: أي: أفرأيت هذا الرجل الضال المُضل الذي ﴿ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾ فما هواه سلكه فهو يسري به في متاهات حتى يُخرجه من دائرة العقل إلى دائرة الجنون، فصار هواه إلهه المعبود فلا يدري أهذا يرضي الرب أم يُسخطه.

وبئس العبد عبد استحكم فيه هواه، فكل همه بطنه وفرجه لا يدري حلالاً من حرامٍ، فعاقبه الله بأنْ أضله ﴿ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ ﴾ فلا يسمع ما ينفعه من الهدى والحق بل أطلقها لما تهوى نفسه من غيبة ونميمة وسخرية واستهزاء ولعن وشتم ومغازلات وأغاني ومسلسلات وأفلام هابطة وكل ما هو باطلٌ من القول وزور.

وختم على (قلبه) فلا يعي الخير ﴿ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ

غِشَٰوَةٗ﴾ تمنعه من النظر إلى الحق فأطلقها تنهش في المحرمات، وترتع في الغاديات الرائحات، وتلغ في العاريات الساقطات ﴿فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣﴾.

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥﴾ [النساء: ١٣٥].

الشهادة بالحق والقيام بالقسط من أعظم الأمور في الإسلام، وأدلها على دين القائم بها وورعه ومقامه وقدره في الإسلام، وأكبر حائل يقف في طريقها اتباع الهوى، فهو إما أن يُعمي بصيرة صاحبه حتى يرى الحق باطلاً، وإما أن يحيد عنه حتى إنه يعرفه ويتركه بالكلية، فأمر ـ سبحانه ـ أن يجاهد الإنسان هواه في كل هذا ولا يطيعه ولا يتبعه؛ لأن الغي والضلال في طاعته والشفاء والسلامة في مخالفته كما قال ـ تعالى ـ لنبيه داود: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن

سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

فأخبرَ ـ سبحانه ـ أن اتباع الهوى يضل صاحبه عن سبيل الله ويخرجه عن الصراط المستقيم وعن جادة الحق، ويميل به إلى طريق الغواية، لذلك كان أولى الناس بالتحذير من الهوى أنبياء الله ورسله الكِرام ـ عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام ـ.

وقال ـ تعالى ـ لنبينا محمد ﷺ: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البقرة: ١٢٠].

وهذا فيه نهي عظيم عن اتباع أهواء طائفة من أحطِّ الناس وأرذلهم وهم اليهود والنصارى ـ قبَّحهم الله ـ قال الشيخ السعدي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «والخطاب ـ وإن كان لرسول الله ﷺ ـ فإن أمَّته داخلة في ذلك؛ لأن الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب، كما أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب». اهـ.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا

فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

﴿آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ التي تدعو إلى الهدى، والرفعة، والعزة، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، وأرفع المقامات ﴿فَانسَلَخَ مِنْهَا﴾ خلعها كما يخلع أحدنا ثوبه، وتركها وراءه ظهرياً، حينئذٍ تسلط عليه الشيطان؛ لأنه وُكلَ إلى نفسه فانطلق يفعل ما يقتضي له الذل والخذلان؛ لأنه صار عبداً لهواه. وترك طاعة مولاه، فمثل هذا في شدة حرصه على طاعة هواه وحرصه على الشهوات والملذات وانقطاع قلبه إليها ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ فالمشبه والمشبه به لا يزالان لاهثين على كل حال.

وفي السنة النبوية عن أبي برزة أنَّ النبي ﷺ قال:

«أخوف ما أخاف عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى» [مسند أحمد (١٩٢٧٣) صحيح].

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث مهلكات: شحٌ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه» [حسنه الألباني بمجموع طرقه. انظر: «الصحيحة» (١٨٠٢)].

وعن أنس أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «حُفّت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات» [صحيح مسلم (٢٨٢٣)]، وفي لفظ البخاري: «حُجبت» مكان «حُفَّت» [البخاري (٦٤٨٧)]. قال ابن حجر - رحمه الله - في «فتح الباري» عند شرح هذا الحديث: «وهو من جوامع كلمه ﷺ وبديع بلاغته في ذم الشهوات وإن مالت إليها النفوس، والحض على الطاعات وإن كرهتها النفوس وشق عليها، وقد ورد إيضاح ذلك من وجه آخر عن أبي هريرة يرفعه إلى النبي ﷺ: «لمَّا خلق الله - عز وجل - الجنة والنار، أرسل جبريل، يعني إلى الجنة، فقال:

انظر إليها وإلى ما أعدَّ الله ـ عز وجل ـ لأهلها فيها، فرجع إليه فقال: وعزَّتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها. فأمر بها فحجبت بالمكاره، وقال: ارجع إليها فانظر إليها، فرجع إليها فإذا هي قد حجبت بالمكاره، فقال: لقد خشيت ألا يدخلها أحد. قال: فانظر إلى النار وإلى ما أعددت لأهلها فيها، فجاءها فنظر إليها وإلى ما أعد لأهلها فيها، فإذا هي يركب بعضها بعضاً، فرجع إليه، فقال: وعزَّتك لا يسمع بها أحدٌ فيدخلها، فأمر بها فحفَّت بالشهوات، وقال: ارجع إليها فانظر إليها، فإذا هي قد حفت بالشهوات، فرجع إليه، فقال: وعزَّتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحدٌ إلا دخلها» [حديث حسن رواه أبوداود (٤٧٤٤) والترمذي (٢٥٦٠) وغيرهما].

قال ابن حجر: «والمراد بالشهوات: ما يُستلذ به من أمور الدنيا مما منع الشرع من تعاطيه، إما بالأصالة، وإما لكون فعله يستلزم ترك شيء من المأمورات، فكأنه قال: لا يُوصَل إلى الجنة إلا بارتكاب المشقات المعبر

عنها بالمكروهات، ولا إلى النار إلا بتعاطي الشهوات، وهما محجوبتان فمن هتك الحجاب اقتحم» [فتح الباري ١١/ ٣٢٠ ـ ٣٢١].

فيا ضعيف العزم قد استبان لك الطريق واتضح لك السبيل، وليس أصدق من كلام الله وكلام رسوله ﷺ، وإنما هي صبر ساعة تعقبها راحة الأبدان، فَالْحق بالركب ولا تكونَنَّ ممن قال الله فيهم: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤]. فانهض ـ يا رعاك الله ـ واعلم ـ أعانك الله ـ أن من عُرف بين الناس بقهر هواه عُظِّم ورُفع وقُدِّر، ومن عُرِف بأنه مقهور الهوى أُهين ونُحِّيَ، فواعجباً من سكرة ذي الهوى، كيف غلبته، فلما أفاق لم يرَ غير اللوائم. واسمع إلى أقوال السلف الصالح في ذمهم للهوى وتحذيرهم منه:

أقوالهم في ذم الهوى:

* عن صفوان بن سليم قال: ليأتينَّ على الناس زمان

تكون همة أحدهم فيه بطنه، ودينه هواه.

* وقال الفضيل بن عياض: من استحوذت عليه الشهوات انقطعت عنه مواد التوفيق.

* وعن أحدهم أنه نظر إلى امرأة ثم قال لها:

أهوى هوى الدين، واللذات تعجبني
فكيف لي بهوى اللذات والدين؟

فقالت له: دع أحدهما تنل الآخر.

* وعن محمد بن محمد بن أبي الورد قال: إن لله ـ عزَّ وجل ـ يوماً لا ينجو من شره منقاد لهواه، وإنَّ أبطأ الصرعى نهضة يوم القيامة صريع شهوة، وإنَّ العقول لما جرت في ميادين الطلب كان أوفرها حظاً من يطالبها بقدر ما استصحبته من الصبر، وإنَّ العقلَ معدن والفكر معول.

* وقال يحيى بن معاذ: حُفَّت الجنة بالمكاره وأنت تكرهها، وحفت النار بالشهوات وأنت تطلبها، فما أنت إلا كالمريض الشديد الداء، إن صبّر نفسه على

مضض الدواء اكتسب بالصبر عافية، وإن جزعت نفسه مما يلقى طالت به علة الضنى.

* وسُئل: من أصح الناس عزماً؟

قال: الغالب لهواه.

* وقال بعض العباد: أشرف العلماء من هرب بدينه من الدنيا، واستصعب قياده على الهوى.

* وقال الحسن بن محمد الجريري: أسرع المطايا إلى الجنة الزهد في الدنيا، وأسرع المطايا إلى النار حبُّ الشهوات، فمن استوى على متن شهوة من الشهوات أسرع به القود إلى ما يكره.

* وعن يحيى بن معاذ قال: من أرضى الجوارح في اللذات فقد غرس لنفسه شجر الندامات.

* وقال أحدهم لآخر وقد رآه عليلاً: تداوَ، قال: قد أعياني الدواء وقد عزمت على الكيّ، قال: وما الكي؟، قال: مخالفة الهوى.

* وقال بشر بن الحارث: لا تجد حلاوة العبادة حتى

تجعل بينك وبين الشهوات حائطاً من حديد.

* وقال عمر بن رُفَيل: رأيت في جبل اللُّكام (جبل بسورية) طائراً منكساً يصيح، فدنوت منه لأخلصه، فإذا تحته صخرة عظيمة مكتوب عليها نقرأ: داؤك هواك فإن غلبت هواك فذاك دواك.

* وقال السريّ: لن يكمل رجلٌ حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

* وقال أحمد بن خضرويه: لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رقَّ أملك من الشهوة ولولا ثقل الغفلة لم تظفر بك الشهوة.

* وقال أبوبكر الوراق: أصل غلبة الهوى مقاربة الشهوات، فإذا غلب الهوى أظلم القلب، وإذا أظلم القلب ضاق الصدر، وإذا ضاق الصدر ساء الخُلُق، وإذا ساء الخُلُق أبغضه الخَلْق، وإذا أبغضه الخَلْق أبغضهم، وإذا أبغضهم جفاهم، وإذا جفاهم صار شيطاناً رجيماً.

* وقال علي بن سهل: العقل والهوى يتنازعان، فمعين العقل التوفيق، وقرين الهوى الخذلان، والنفس واقفة بينهما، فأيهما ظفر كانت في خيره.

* وقال أبو الحسين الوراق: الشهوة أغلب سلطان على النفس، ولا يزيلها إلا الخوف المزعج.

* وقال أبوعليّ الدقاق: من مَلك شهوته في حال شبيبته صيّره الله ملكاً في حال كهولته، كيوسف رَحِمَهُ اللَّهُ ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٩٠ ﴾ [يوسف: ٩٠].

* وسئل آخر: أيُّ الأشياء أحق بالاتقاء؟

فقال: أعظمها مضرة.

قيل: فإن جهل قدر المضرة.

قال: أعظمها من الهوى نصيباً.

* وقال آخر: الهوى مَلِكٌ عَسُوف، وسلطان ظالم، دانت له القلوب، وانقادت له النفوس.

الجزاء الأُخروي لمَن خالف هواه في الدنيا:

وإذا كان مَن خالف هواه وأطاع خالقه هو المرفوع قدراً العزيز نفساً في هذه الدنيا فما جزاؤه في الآخرة؟

قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٣٧ ـ ٤١].

قال الألوسي ـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ: «﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ أي: زجرها وكفها عن الهوى المردي، وهو الميل إلى الشهوات، وضبطها بالصبر، والتوطن على إيثار الخيرات، ولم يعتد بمتاع الدنيا وزهرتها، ولم يغتر بزخارفها وزينتها علماً بوخامة عاقبتها، وعن ابن عباس ومقاتل: أن الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه للحساب بين يدي ربه ـ سبحانه ـ فيخاف فيتركها. . . قال بعض الحكماء: إذا أردت الصواب فانظر إلى هواك فخالفه.

فخالف هواك واعصه فمن يُطع

هوى نفسه تنزع به شر منزع

ومـن يطـع النفـس اللجـوجـة تُـرده

وتـرم بـه فـي مصـرع أي مصـرع»

[تفسير الألوسي (٣٠/٤٦)]

تمرين النفس على مخالفة الهوى:

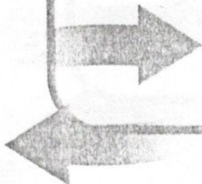
يجب على العاقل أن يعوِّد نفسه مخالفة هواه وإن كـان مبـاحـاً؛ ليجوز فـي الاختبـار علـى تـرك الهوى المحرم، وليطلب الربح في المعاملة بترك المباح، وليكن له زاجراً من عقل إن قَصَّر به زاجر الشرع، فإنَّ أرباب الجرائم من أهل السجون كالقتلة ومرتكبي الفواحش وأهل المخدرات هم أناس غلب هواهم عقولهم فمُقل ومستكثر، فالعاقل يعتبر بمآلهم وما صاروا إليه من ندم وألم. فيا بؤس لذة تعقب ألماً، وشهوة تورث ندماً، فإذا عرف العاقل مآل الهوى وما يصير إليه غالباً، وجب عليه رفع كل حادثة تعرض عليه إلـى عقلـه؛ لينظـر فـي مصـالحـه العـاجلـة والآجلـة، ويستخدم الأحوط في كف الهوى، وليعلم العاقل -

أيضاً ـ أن «مُدمني الشهوات يصيرون إلى حالٍ لا يلتذونها، وهم مع ذلك لا يستطيعون تركها؛ لأنها قد صارت عندهم كالعيش الاضطراري، ولهذا ترى مدمن الخمر والجماع لا يلتذ بذلك عُشر التذاذ مَن لم يُدمن. غير أن العادة تقتضيه ذلك، فيلقي نفسه في المهالك لنيل ما يقتضيه تعوده، ولو زال رين الهوى عن بصيرته لرأى أنه قد شقي من حيث قدّر السعادة، واغتمَّ من حيث ظن الفرح، وأَلِمَ من حيث أراد اللذة، فهو كالحيوان المخدوع بحَبِّ الفخِّ، لا هو نال ما خُدِعَ به ولا أطاق التخلص مما وقع فيه» [ابن الجوزي «صيد الخاطر»].

وقد يقول قائل: فكيف لي بالخلاص وقد أنشب الهوى فيَّ أظفاره؟

كيف تتخلص من الهوى؟

ويمكن التخلص من الهوى ـ بعون الله وتوفيقه ـ بأمور منها:



١ ـ عزيمة حرٍّ يغار لنفسه وعليها.

٢ ـ جرعة صبر يُصبرِّ نفسه على مرارتها تلك الساعة.

٣ ـ قوة نفس تشجعه على شرب تلك الجرعة، والشجاعة صبر ساعة، وخير عيش أدركه العبد بصبره.

٤ ـ ملاحظة [العبد] حسن موقع العاقبة بالشفاء من تلك الشهوة.

٥ ـ ملاحظة [العبد] الألم الزائد على لذة طاعة الهوى.

٦ ـ إبقاؤه على منزلته عند الله ـ تعالى ـ وفي قلوب عباده، وهو خير وأنفع له من لذة موافقة الهوى.

٧ ـ إيثار لذة العفة وعزتها وحلاوتها على لذة المعصية.

٨ ـ فرحه بغلبته لعدوّه وقهره له وردّه خاسئاً بغيظه وهمه حيث لم ينل منه أمنيته.

٩ ـ التفكر في أنه لم يُخْلَق للهوى، وإنما هُيئ لأمر عظيم لا يناله إلا بمعصيته للهوى.

قد هيأوك لأمرٍ لو فطنت له

فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

١٠ ـ ألاَّ يختار لنفسه أن يكون الحيوان البهيم أحسن حالاً منه، فالحيوان يميز بطبعه الضار من النافع فيؤثر النافع، والإنسان أعطى العقل لهذا المعنى.

١١ ـ أن يسير بقلبه في عواقب الهوى فيتأمل كم فوَّتت أهواؤه وشهواته من فضيلة، وكم أوقعت في رذيلة، وكم من أكلة منعت أكلات، وكم من لذة فوتت من لذات، وكم من شهوة كسرت جاهاً، ونكست رأساً، وقبَّحت ذِكراً، وأورثت ذمًّا، وأعقبت ذلاً، وألزمت عاراً لا يغسله الماء، غير أن عين صاحب الهوى عمياء.

١٢ ـ أن يتصور العاقل انقضاء غرضه ممن يهواه، ثم يتصور حاله بعد قضاء الوطر وما فاته وما حصل له.

فأفضل الناس من لم يرتكب سبباً

حتى يميز ما تجني عواقبه

١٣ ـ أن يتصور ذلك في حق غيره حق التصور، ثم ينزل نفسه تلك المنزلة، فحكم الشيء حكم نظيره.

١٤ ـ أن يتفكر فيما تطالبه به نفسه من ذلك، ويسأل عنه عقله ودينه، فيخبرانه بأنه ليس بشيء، قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: إذا أعجب أحدكم امرأة فليذكر مناتنها.

١٥ ـ أن يأنف لنفسه من ذُل طاعة الهوى؛ فإنه ما أطاع أحدٌ هواه قط إلا وجد في نفسه ذُلاً، ولا يغتر بصولة أتْباع الهوى وكِبْرهم فهم أذل الناس بواطن، قد جمعوا بين الكِبر والذل.

١٦ ـ أن يوازن بين سلامة الدين والعِرض والمال والجاه ونيل اللذة المطلوبة، فإنه لا يجد بينهما نسبة ألبتة، فليعلم أنه من أسْفه الناس ببيعه هذا بهذا.

١٧ ـ أن يأنف لنفسه أن يكون تحت قهر عدوه، فإن

الشيطان إذا رأى من العبد ضعف عزيمة وهمة وميلاً إلى هواه طمع فيه، وصرعه، وألجمه بلجام الهوى، وساقه حيث أراد، ومتى أحس منه بقوة عزمٍ وشرف نفس وعلوٍّ همة لم يطمع فيه إلاَّ اختلاساً وسرقة.

١٨ ـ أنْ يعلم أنَّ الهوى ما خالط شيئاً إلا أفسده، فإن وقع في العلم أخرجه إلى البدعة والضلالة، وصار صاحبه من جملة أهل الأهواء، وإن وقع في الزهد أخرجه صاحبه إلى الرياء ومخالفة السنة، وإن وقع في الحكم أخرج صاحبه إلى الظلم وصده عن الحق، وإن وقع في القسمة خرجت عن قسمة العدل إلى قسمة الجور، وإن وقع في الولاية والعزل أخرج صاحبه إلى خيانة الله والمسلمين حيث يُوَلِّي بهواه ويعزل بهواه، وإن وقع في العبادة خرجت عن أن تكون طاعة وقربة، فما قارن شيئاً إلا أفسده.

١٩ ـ أنْ يعلم أنَّ الشيطان ليس له مدخل إلى ابن آدم إلا من باب هواه، فإنه يطوف به من أين يدخل إليه حتى يفسد عليه قلبه وأعماله، فلا يجد مدخلاً إلا من باب الهوى، فيسري معه سريان السم في الأعضاء.

٢٠ ـ أن متبع الهوى ليس أهلاً أن يُطاع ولا يكون إماماً ولا متبوعاً.

٢١ ـ أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل متبع الهوى بمنزلة عابد الوثن فقال ـ تعالى ـ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤٣، والجاثية: ٢٣] في موضعين من كتابه، قال الحسن: هو المنافق لا يهوى شيئاً إلا ركبه. وقال أيضاً: المنافق عبد هواه لا يهوى شيئاً إلا فعله.

٢٢ ـ أن الهوى هو [إطار] جهنم المحيط بها، فمن وقع فيه وقع فيها كما في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال: «حُفَّت الجنة بالمكاره وحُفَّت النار

بالشهوات» [صحيح مسلم (٢٨٢٣)].

٢٣ ـ أنَّ مخالفة الهوى تورث العبد قوة في بدنه وقلبه ولسانه، قال بعض السلف: الغالب لهواه أشد من الذي يفتح المدينة وحده. وفي الحديث المرفوع: «ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» [متفق عليه]. وكلما تمرن على مخالفة هواه اكتسب قوةً إلى قوته.

٢٤ ـ أنَّ أغزر الناس مروءةً أشدهم مخالفةً لهواه، قال معاوية: المروءة ترك الشهوات وعصيان الهوى، فاتباع الهوى [يُضعف] المروءة، ومخالفته تنعشها.

٢٥ ـ أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل الخطأ واتباع الهوى قرينين، وجعل الصواب ومخالفة الهوى قرينين، كما قال بعض السلف: إذا أشكل عليك أمران لا تدري أيهما أرشد فخالف أقربهما من

هواك، فإن أقرب ما يكون الخطأ في متابعة الهوى.

٢٦ ـ أن الهوى داء ودواؤه مخالفته، قال بعض العارفين: إن شئت أخبرتك بدائك وإن شئت أخبرتك بدوائك، داؤك هواك، ودواؤك ترك هواك ومخالفته.

٢٧ ـ أن جهاد الهوى إنْ لم يكن أعظم من جهاد الكفار فليس بدونه، قال رجل للحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: يا أبا سعيد، أيّ الجهاد أفضل؟ قال: جهادك هواك.

٢٨ ـ أن الهوى تخليط ومخالفته حمية، ويخاف على من أفرط في التخليط وجانب الحمية أن يصرعه داؤه. قال عبدالملك بن قُريب: مررت بأعرابي به رمدٌ شديد ودموعه تسيل على خديه، فقلت: ألا تمسح عينيك؟ قال: نهاني الطبيب عن ذلك، ولا خير فيمن إذا زُجر لا ينزجر، وإذا أُمر لا

يأتمر، فقلت: ألا تشتهي شيئاً؟ فقال: بلى، ولكني أحتمي، إن أهل النار غلبت شهوتُهم حميتَهم فهلكوا.

٢٩ ـ أن اتباع الهوى يغلق عن العبد أبواب التوفيق، ويفتح عليه أبواب الخذلان، قال الفضيل بن عياض: مَن استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات انقطعت عنه موارد التوفيق.

٣٠ ـ أن اتباع الهوى يحلُّ العزائم ويوهنها، ومخالفته تشدها وتقويها، والعزائم هي مركب العبد الذي يُسيِّره إلى الله والدار الآخرة، فمتى تعطل المركوب أوشك أن ينقطع المسافر.

٣١ ـ أن مثل راكب الهوى كمثل راكب فرس صعب جموح لا لجام له فيوشك أن يصرعه فرسه خلال جريه أو يسير به إلى مهلك.

٣٢ ـ أن التوحيد والهوى متضادان، فإن الهوى صنم ولكل عبد صنم في قلبه بحسب هواه.

٣٣ ـ أن مخالفة الهوى مطردة للداء عن القلب والبدن، ومتابعته مجلبة لداء القلب والبدن، فأمراض القلب كلها من متابعة الهوى، ولو فتشت عن أمراض البدن لرأيتَ غالبها من إيثار الهوى على ما ينبغي تركه.

٣٤ ـ أن أصل العداوة والشر والحسد الواقع بين الناس من اتباع الهوى فمن خالف هواه أراح قلبه وبدنه وجوارحه فاستراح وأراح.

٣٥ ـ أن الهوى رِقٌّ في القلب، وغُلٌّ في العنق، وقَيْدٌ في الرِجْل، ومتابعة أسير لكل سيئ الملكة، فمن خالفه عُتِقَ من رقه وصار حرًّا، وخلع الغُلّ من عنقه والقيد من رجله..

٣٦ ـ أن مخالفة الهوى تقيم العبد في مقام من لو أقسم على الله لأبرَّه، فيقضي له من الحوائج أضعاف ما فاته من هواه.

٣٧ ـ إذا تأملت السبعة الذين يظلهم الله ـ عز وجل ـ

في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، وجدتهم إنما نالوا ذلك الظل بمخالفة الهوى.

٣٨ ـ أن من نصر هواه فسد عليه عقله ورأيه؛ لأنه قد خان الله في عقله فأفسده عليه.

٣٩ ـ أن لكل عبد بداية ونهاية، فمن كانت بدايته اتباع الهوى، كانت نهايته الذل والصغار والحرمان والبلاء المتبوع بحسب ما اتبع من هواه، بل يصير له ذلك في نهايته عذاباً يُعذَّب به في قلبه.. ولو تأملت حال كل ذي حال سيئة رزية لرأيت بدايته الذهاب مع هواه وإيثاره على عقله.

٤٠ ـ أن مخالفة الهوى توجب شرف الدنيا وشرف الآخرة وعزَّ الظاهر وعز الباطن.

[روضة المحبين ـ ابن القيم]

فلا سعادة ولا عزة ولا رفعة ولا بركة إلا بمخالفة الهوى والطاعة والانقياد لله ورسوله وإلا فالشقاء والإفساد والذل والصغار في الدنيا والخسارة والبوار في

الآخرة، قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٥٠ ﴾ [القصص: ٥٠].

اللهم صل على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

الفقير إلى عفو ربه

أبو المنذر

خليل بن إبراهيم أمين

* * *

الفهـــرس



